

الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية

Social Hybridization between the Real and the Virtual: An Anthropological Reading of the Intersection of Digital and Physical Worlds

د. قاسمي الحسني عبدالمجيد¹

¹ جامعة البليدة 2 (الجزائر)، ea.gasmi-lahasseni@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: 2026/06/12

تاريخ القبول: 2026/05/31

تاريخ الاستلام: 2026/03/06

ملخص:

أدى التوسع السريع للتقنيات الرقمية إلى تحول عميق في التفاعلات الاجتماعية، مما أسفر عن نشوء فضاء هجين تتداخل فيه العوالم الواقعية والافتراضية، تسلط هذه المساهمة الضوء على الهيئة الاجتماعية من منظور أنثروبولوجي، من حيث كيف تعيد المنصات الرقمية تشكيل الهوية والتواصل والممارسات الثقافية، فالهيئة لا تقتصر على التعايش بين مجالين منفصلين، بل هي عملية متطورة تتشابك فيها التفاعلات الرقمية والمادية، مما يؤدي إلى ظهور هويات مرنة ومتعددة الأبعاد، وبالاعتماد على الأطر النظرية والدراسات التجريبية، تناقش هذه المساهمة أيضا التأثيرات الثقافية والاجتماعية لهذا التداخل، بما في ذلك التحولات في معايير الخصوصية والانتماء وهياكل السلطة، كما يتناول التحديات التي تفرضها الهيئة الرقمية، مثل تفتت أو تفكك الهوية، والمراقبة، وإعادة تعريف العلاقات الاجتماعية، في النهاية، تسهم هذه المساهمة في فهم كيفية تنقل المجتمعات المعاصرة بين الواقعي الرقمي والمادي، مما يستدعي تطوير مناهج أنثروبولوجية جديدة لاستيعاب تعقيدات هذا التحول. كلمات مفتاحية: الهيئة الاجتماعية، الأنثروبولوجيا الرقمية، التفاعل الواقعي-الافتراضي، تحول الهوية، التكيف الثقافي.

Abstract:

The rapid expansion of digital technologies has profoundly transformed social interactions, creating a hybrid space where physical and virtual realities intersect. This study explores social hybridization from an anthropological perspective, focusing on how digital platforms

* المؤلف المرسل: د. قاسمي الحسني عبدالمجيد

reshape identity, communication, and cultural practices. Hybridization is viewed as a dynamic process in which digital and physical interactions merge, producing fluid and multidimensional identities.

The study highlights major shifts in privacy, belonging, and power structures, while also addressing challenges such as identity fragmentation, surveillance, and the redefinition of social relationships. It concludes that understanding these transformations requires new anthropological approaches capable of capturing the complex interplay between digital and physical realities.

Keywords: Social hybridization, digital anthropology, virtual-physical interaction, identity transformation, cultural adaptation.

1. مقدمة:

شهدت المجتمعات المعاصرة تحولات جذرية بفعل التطور التكنولوجي المتسارع، حيث لم يعد التفاعل الاجتماعي مقتصرًا على الفضاء المادي، بل أصبح ممتدًا إلى العوالم الرقمية، مما أفرز واقعًا اجتماعيًا هجينًا يجمع بين الحضور الفيزيائي والافتراضي، يطرح هذا التحول تساؤلات أنثروبولوجية جوهرية حول طبيعة العلاقات الإنسانية، وأثر الوسائط الرقمية في إعادة تشكيل الهويات، وأنماط التفاعل الاجتماعي، لهذا وجب تشخيص مفهوم الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي من منظور أنثروبولوجي، من خلال مناقشة الإطار النظري للهيئة، واستكشاف كيفية تداخل العوالم الرقمية والمادية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على التداعيات الثقافية والاجتماعية لهذا التداخل، إلى جانب ذلك، فإن الهيئة الاجتماعية تعكس عملية ديناميكية مستمرة تعيد تشكيل الفضاءات الاجتماعية، حيث أصبح الأفراد يتنقلون بين العالمين الواقعي والافتراضي بسلاسة، مما يؤدي إلى نشوء هويات مركبة تتأثر بالممارسات الرقمية بقدر تأثرها بالسياقات الثقافية التقليدية، ولم يعد

التفاعل الاجتماعي محكوماً فقط بالمحددات الجغرافية أو الثقافية المباشرة، بل بات يتأثر بالخوارزميات والمنصات الرقمية التي تفرض أنماطاً جديدة من الاتصال والتواصل.

في هذا السياق، تبرز أسئلة مركزية تتعلق بكيفية إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية في ظل هذا التداخل، ومدى تأثيره على مفاهيم مثل الهوية، الانتماء، والسلطة، كما تفرض الهجنة الاجتماعية تحديات أمام الدراسات الأنثروبولوجية التي اعتادت تحليل المجتمعات وفقاً لحدود مكانية وزمانية واضحة، مما يستدعي إعادة النظر في أدوات البحث المنهجي لمواكبة التحولات الرقمية، لذلك، تحاول هذه المساهمة تفكيك الظاهرة من خلال مناقشة الأطر النظرية التي عالجت مفهوم الهجنة، مع تحليل أشكال التفاعل الرقمي وتأثيرها على البناء الاجتماعي والثقافي، كما سيتم التطرق إلى نماذج عملية من المجتمعات الرقمية والمادية لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما، مع التركيز على الممارسات اليومية للأفراد في ظل هذا التداخل، وفي النهاية، ستقدم رؤية نقدية حول تأثير الهجنة الاجتماعية على المفاهيم التقليدية للهوية والتواصل والثقافة في المجتمعات المعاصرة، إعتاماداً على مقارنة تحليلية نقدية تستند إلى مراجعة الأدبيات العلمية والدراسات الحديثة حول الموضوع.

2. مفهوم الهجنة في الدراسات الأنثروبولوجية:

يعد مفهوم الهجنة (Hybridization) من المفاهيم المركزية في الدراسات الأنثروبولوجية والثقافية، حيث يشير إلى تداخل وتأثير الثقافات والهويات المختلفة نتيجة عمليات العولمة والتثاقف (Canclini, 1995, p. 22)، وقد استخدم هذا المفهوم في مجالات متعددة، مثل الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية لدراسة عمليات التلاقح الثقافي وإعادة تشكيل الهويات في ظل التغيرات المتسارعة، ففي سياق الهجنة الرقمية، يتجاوز المفهوم البعد الثقافي ليشمل التداخل بين العوالم الواقعية والافتراضية، مما يؤدي إلى خلق فضاءات اجتماعية جديدة ذات طابع مزدوج، حيث تتفاعل الهويات والممارسات الاجتماعية في بيئتين متداخلتين (Miller & Slater, 2000, p. 45).

الهجنة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية ترتبط الهجنة بعمليات التفاعل الثقافي والاجتماعي التي تنتج عن التقاء أنظمة ورموز وقيم مختلفة، مما يؤدي إلى تكوين أشكال جديدة من المعاني والممارسات التي تتجاوز الحدود التقليدية للثقافة أو الهوية (Bhabha, 1994, p. 56)، ومن هذا المنطلق، لا تُعتبر الهجنة مجرد دمج لعناصر متباينة، بل هي عملية ديناميكية تتسم بإعادة التفاوض المستمرة حول المعاني والهويات في ظل تحولات اجتماعية واقتصادية وتكنولوجية عميقة، ففي الدراسات الأنثروبولوجية، ظهر مفهوم الهجنة في البداية لفهم التأثيرات الثقافية المتبادلة الناتجة عن الاستعمار والثقاف القسري، لكنه توسع لاحقًا ليشمل دراسة تأثيرات العولمة والتواصل الرقمي على التفاعلات الاجتماعية، فقد رأى غارسيا كانكليني (García Canclini, 1995) أن الهجنة ليست مجرد مزج بين ثقافات مختلفة، بل هي استراتيجية لإعادة تشكيل الثقافة بطرق غير متوقعة نتيجة اندماج عناصر محلية وعالمية، رسمية وغير رسمية، تقليدية وحديثة.

أما في السياق الرقمي، فإن الهجنة تتخذ أبعادًا أكثر تعقيدًا، حيث لم يعد التداخل مقتصرًا على المستوى الثقافي أو اللغوي، بل أصبح يشمل أنماط التفاعل البشري التي تحدث عبر وسيط افتراضي، يرى ميلر وسلاتر (Miller & Slater, 2000) أن الهجنة الرقمية تتمثل في أن الأفراد لم يعودوا يعيشون حياتهم في فضاء مادي بحت، بل يتنقلون بين الواقعين المادي والافتراضي بشكل متداخل، مما ينتج هويات متعددة الأبعاد تتشكل وفقًا للسياقات التي يتحركون فيها، علاوة على ذلك، يرى هومي بهابها (Bhabha, 1994) أن الهجنة ليست مجرد حالة وسطية بين ثقافتين أو نظامين اجتماعيين، بل هي فضاء إبداعي جديد ينبثق من التقاء الاختلافات، حيث يتم إنتاج معاني وهويات تتجاوز التصنيفات الثنائية التقليدية، وينطبق هذا الفهم بشكل كبير على الهجنة الرقمية، حيث يُعاد تشكيل الأدوار الاجتماعية والهويات الشخصية والممارسات الثقافية من خلال التكنولوجيا الرقمية، مما يخلق نماذج تفاعل جديدة تتحدى الفهم التقليدي للعلاقات الاجتماعية، وبذلك فالهجنة تعد إطارًا تحليليًا مهمًا لفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية المعاصرة، خاصة في ظل التوسع

المتزايد للفضاءات الرقمية التي لم تعد مجرد امتداد للواقع، بل أصبحت تؤثر فيه بشكل جوهري، مما يستدعي إعادة النظر في كيفية دراسة المجتمع والثقافة في العصر الرقمي.

3. الهجنة الرقمية: بين الاندماج والانفصال:

تشير الهجنة الرقمية إلى التفاعل المتزامن بين الفضاءين الواقعي والافتراضي، حيث لا تُستبدل العلاقات الاجتماعية التقليدية بالافتراضية، بل يحدث اندماج بينهما بشكل متكامل (Castells, 2009, p. 88)، فالهوية الفردية لم تعد مرتبطة حصرياً بالعالم الواقعي، بل أصبحت تتشكل عبر التفاعلات الرقمية، ما يؤدي إلى إنتاج هويات هجينة تتأرجح بين المادي والافتراضي (Turkle, 2011, p. 112)، وتعد الهجنة الرقمية من أبرز مظاهر التحول الاجتماعي في العصر الرقمي، حيث لم يعد الأفراد يعيشون في فضاء واحد محدد، بل يتنقلون باستمرار بين العالمين الواقعي والافتراضي، مما يؤدي إلى تشكّل أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي، يصف كاستلز (Castells, 2009) هذه الظاهرة بأنها جزء من "مجتمع الشبكات"، حيث أصبحت الهويات والعلاقات الاجتماعية موزعة عبر منصات متعددة، ما يخلق واقعاً مركباً تتداخل فيه عناصر من الفضاءين دون أن يكون أحدهما بديلاً مطلقاً للآخر، فهل الهويات الرقمية تعبر عن امتداد أم قطيعة؟

من بين أحد أبرز تأثيرات الهجنة الرقمية هو التحول في مفهوم الهوية، حيث لم تعد الهوية الفردية محصورة في البيئة الاجتماعية التقليدية، بل أصبحت تتأثر بالفضاءات الرقمية التي توفر إمكانيات واسعة لإعادة تشكيل الذات والتعبير عنها، ترى توركل (Turkle, 2011) أن الفضاءات الرقمية تمنح الأفراد حرية أكبر في تقديم ذواتهم بطرق مختلفة، مما يؤدي إلى ظهور هويات هجينة تتأرجح بين ما هو واقعي وما هو مصطنع، وبين ما هو ثابت وما هو متغير، فعلى سبيل المثال: قد يعكس أحد الأفراد شخصية مهنية رسمية في بيئته الواقعية، لكنه يتبنى شخصية أكثر انفتاحاً أو تحرراً في فضاءاته الرقمية كنوع من الاندماج الرقمي، هذا التنقل المستمر بين الهويتين يخلق شكلاً جديداً من الازدواجية التي تعكس

الهجنة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية
تعقيدات الحياة الرقمية الحديثة، فهل هذا الاندماج الرقمي يعمل على تعزيز العلاقات أم
على تفكيكها؟

بالرغم من القلق الذي يثيره تأثير التكنولوجيا على العلاقات الاجتماعية التقليدية، تشير الدراسات إلى أن الهجنة الرقمية لا تعني بالضرورة قطيعة مع الواقع، بل قد تعزز العلاقات الاجتماعية بطرق غير مسبوقة، يرى بويد (Boyd, 2014) أن العلاقات الرقمية أصبحت امتدادًا للعلاقات الواقعية، حيث تسمح تقنيات الاتصال الحديثة بالحفاظ على الروابط الاجتماعية وتعزيزها، حتى في ظل التباعد الجغرافي أو الاجتماعي، فإن الهجنة الرقمية تتيح للأفراد أن يكونوا جزءًا من دوائر اجتماعية متداخلة، يجمعون فيها بين القرب الواقعي والاتصال الافتراضي، مما يعزز الإحساس بالانتماء إلى مجتمعات متعددة في آنٍ واحد، وعلى الجانب الآخر، لا يمكن إنكار أن الهجنة الرقمية قد تؤدي أيضًا إلى أنماط من الانفصال الاجتماعي، حيث يفضل بعض الأفراد التواصل الافتراضي على التفاعل المباشر، مما قد يحد من مهاراتهم الاجتماعية التقليدية، لهذا تحذر توركل (Turkle, 2011) من أن الاعتماد المفرط على الوسائط الرقمية قد يؤدي إلى عزلة اجتماعية، حيث يصبح الأفراد أكثر راحة في التعبير عن أنفسهم من خلال الشاشات، بدلاً من التعامل مع تعقيدات العلاقات الواقعية. ومع ذلك، ويرى آخرون أن هذا ليس بالضرورة نوعًا من العزلة، بل هو إعادة تكيف مع أشكال جديدة من التواصل تتماشى مع تطورات العصر الرقمي، معبرا عن تشكل فضاءات اجتماعية جديدة، حيث ساهمت الهجنة الرقمية في خلق فضاءات اجتماعية جديدة تمتاز فيها العناصر الواقعية بالافتراضية، مثل المجتمعات الرقمية (Digital Communities) التي أصبحت بديلة عن التجمعات التقليدية في بعض السياقات، فعلى سبيل المثال: توفر الألعاب الإلكترونية متعددة اللاعبين، ومنصات التواصل الاجتماعي، والمنتديات الافتراضية كميئات اجتماعية يتفاعل فيها الأفراد وكأنهم في فضاء مادي مشترك، في هذا يرى جينكينز (Jenkins, 2006) أن هذه الفضاءات تمثل "ثقافات تشاركية" (Participatory Cultures)، حيث يشارك الأفراد في إنتاج المعاني

والرموز الاجتماعية بطرق تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية التقليدية، ومنه فالهجنة الرقمية تعكس علاقة معقدة بين الاندماج والانفصال، حيث يمكن أن تكون وسيلة لتعزيز الروابط الاجتماعية كما يمكن أن تؤدي إلى تفككها، وفقاً لطريقة استخدامها، ومع استمرار تطور التكنولوجيا، ستبقى هذه الظاهرة مجاًلاً مفتوحاً للنقاش والبحث، مما يستدعي دراسات أعمق لفهم تأثيراتها على الأفراد والمجتمعات في المستقبل.

4. حدود الواقع والافتراضي: نحو تجربة اجتماعية متشابكة:

مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح الأفراد يعيشون في فضاء اجتماعي مزدوج، حيث يتفاعلون مع الآخرين في العالم الرقمي بطريقة لا تقل أهمية عن التفاعل في الواقع المادي (Boellstorff, 2008, p. 57)، أدى ذلك إلى ظهور ظاهرة "الوجود المزدوج"، حيث يصبح الفرد حاضراً في كلا العالمين في آنٍ واحد، مما يغير من طبيعة إدراكه للمكان والزمان (Lupton, 2014, p. 76)، فلم يعد التفاعل الاجتماعي مقصوراً على الفضاء المادي، بل أصبح الأفراد يعيشون في فضاء اجتماعي مزدوج يجمع بين الحضور الواقعي والافتراضي، مما أدى إلى إعادة تشكيل مفهوم الوجود الاجتماعي، يصف بويلستروف (Boellstorff, 2008, p. 57) هذا التحول بأنه "إعادة إنتاج للحياة الاجتماعية في بيئات رقمية"، حيث لم تعد اللقاءات والتفاعلات الرقمية مجرد امتداد للواقع، بل أصبحت فضاءً مستقلاً يحمل خصائصه وتقاليده الخاصة، هذا الوجود المزدوج يعبر عن حلة تعددية الانتماء والهوية، حيث تشير لوفتون (Lupton, 2014, p. 76) إلى أن الأفراد باتوا يعيشون حالة من "الوجود المزدوج" (Dual Presence) بكونهم في العالمين الواقعي والافتراضي في آنٍ واحد، مما يؤدي إلى تغييرات جوهرية في إدراكهم للمكان والزمان، فالفضاءات الرقمية لم تعد مجرد منصات للترفيه أو العمل، بل أصبحت أماكن يتفاعل فيها الأفراد اجتماعياً بشكل يوازي – وأحياناً يتجاوز – التفاعل المباشر، على سبيل المثال: يمكن للفرد أن يكون جالساً في اجتماع واقعي بينما يشارك في نقاش إلكتروني موازي، مما يعكس التشابك العميق بين الحضور المادي والرقمي، وبالتالي نجد أن التقنيات الرقمية ساهمت في إعادة تعريف مفهومي المكان

الهجنة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية والزمان، حيث أصبح الاتصال ممكنًا في أي وقت ومن أي مكان، متجاوزًا القيود الجغرافية التقليدية، يرى هارفي (Harvey, 1990, p. 240) أن هذا التحول يعبر عن "ضغط الزمان والمكان" (Time-Space Compression)، حيث لم تعد المسافات تمثل عائقًا أمام التفاعل الاجتماعي، مما أدى إلى تشكل مجتمعات رقمية تتخطى الحدود الوطنية والثقافية، وبذلك، فإن الأفراد لا يعيشون فقط في بيئاتهم المحلية، بل ينخرطون في تفاعلات عالمية تؤثر على هوياتهم وممارساتهم اليومية، ما يعكس جليا تجربة رقمية عمدت على تفكيك الحدود التقليدية للمكان والزمان، فهل تعتبر واقعا جديدا؟، أم هي امتداد للواقع التقليدي؟

يرى ريتزر (Ritzer, 2015, p. 132) أن التجربة الرقمية تمثل "ما بعد الواقعية" (Hyperreality)، حيث تندمج العوالم الرقمية والمادية في تجربة اجتماعية واحدة، ما يجعل من الصعب التمييز بين ما هو "حقيقي" وما هو "افتراضي"، في هذا السياق، أصبحت التجربة الرقمية توازي – وأحيانًا تفوق – التجربة الواقعية من حيث التأثير والفعالية، على سبيل المثال: تلعب المنصات الرقمية دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام وتعزيز الحركات الاجتماعية، وتغيير أنماط التفاعل بين الأفراد، لتبرز العديد من تحديات الاندماج بين الواقعي والافتراضي، فبالرغم من الفوائد العديدة للهجنة الاجتماعية بين الواقع والافتراض، فإنها تطرح أيضًا تحديات مرتبطة بالهوية، الخصوصية، والتفاعل الاجتماعي، حيث يحذر غوفمان (Goffman, 1959, p. 89) من أن الأفراد في البيئات الرقمية يضطرون إلى إدارة "عروض الذات" (Self-Presentation) بشكل مستمر، مما قد يؤدي إلى ضغوط نفسية واجتماعية، كما أن الاعتماد المفرط على التفاعل الرقمي قد يؤدي إلى تراجع مهارات التواصل المباشر، مما يطرح تساؤلات حول تأثير الهجنة الرقمية على العلاقات الاجتماعية التقليدية.

5. التفاعلات الاجتماعية في البيئات الهجينة:

التفاعلات الاجتماعية في المجتمع الهجين لا تتبع الأنماط التقليدية للعلاقات الاجتماعية، بل تتشكل من خلال ديناميكيات جديدة مثل التفاعل عبر الصور، والرموز،

والتعابير الرقمية (boyd, 2014, p. 133)، ويمكن ملاحظة ذلك في مجتمعات الألعاب الإلكترونية، والعمل عن بعد، وشبكات التواصل الافتراضية، حيث تُبنى علاقات قائمة على الثقة والتفاعل المستمر دون الحاجة إلى وجود فيزيائي مباشر (Wellman et al., 2001, p. 214)، ففي البيئات الهجينة، لم يعد التفاعل الاجتماعي يقتصر على الاتصال المباشر أو المحادثات اللفظية، بل أصبح يعتمد على مزيج من الوسائط الرقمية والممارسات الافتراضية، مما أدى إلى نشوء ديناميكيات جديدة للعلاقات الاجتماعية، في هذا يوضح بويد (boyd, 2014, p. 133) أن الأفراد في المجتمع الرقمي يتواصلون عبر الصور، الرموز، والتعابير الرقمية، مما يجعل التفاعل الاجتماعي أكثر تعقيداً من مجرد التفاعل الواجهي التقليدي. فمثلاً: يمكن لرمز تعبيري بسيط (Emoji) أو "إعجاب" (Like) أن يحمل معاني متعددة تختلف وفقاً للسياق الاجتماعي والثقافي الذي يتم فيه التواصل، هنا نسلط الضوء على العلاقات الرقمية وبناء الثقة، حيث تُظهر الأبحاث أن العلاقات التي تُبنى في البيئات الرقمية ليست سطحية أو غير حقيقية كما يُعتقد أحياناً، بل يمكن أن تكون قوية ومستدامة، حتى دون لقاءات فيزيائية مباشرة، يشير ولمن وآخرون (Wellman et al., 2001, p. 214) إلى أن شبكات التواصل الافتراضية، مثل مجتمعات الألعاب الإلكترونية ومجموعات العمل عن بُعد، تُظهر مستويات عالية من الثقة والتفاعل المستمر، حيث يتم تبادل المعلومات والتعاون في بيئات لا تعتمد على القرب الجغرافي، مثلاً: في مجتمعات الألعاب الإلكترونية متعددة اللاعبين، تتطور الصداقات والروابط الاجتماعية من خلال التفاعل المشترك داخل اللعبة، مما يؤدي إلى بناء شبكات دعم قوية تمتد أحياناً إلى الحياة الواقعية، وبالمثل، في بيئات العمل عن بعد، يمكن لفريق موزع جغرافياً أن يحقق إنتاجية وتواصلًا فعالاً عبر الاجتماعات الافتراضية، مما يعزز الإحساس بالانتماء والهوية الجماعية حتى دون الالتقاء الفعلي، ضف أن هذه التفاعلات تكون متعددة القنوات، حيث ساهمت التقنيات الرقمية الحديثة في توسيع نطاق التفاعل الاجتماعي من خلال أدوات متعددة، فلم يعد التواصل مقتصرًا على النصوص المكتوبة أو المحادثات الصوتية، بل أصبح يشمل

الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية
الوسائط المتعددة مثل الفيديوهاات الحية (Live Streaming)، الصور التفاعلية، وتقنيات
الواقع المعزز (Augmented Reality)، بخصوص هذا يوضح دجينيكيترز (Jenkins, 2006, p. 98) أن هذه الوسائط توفر للأفراد طرقًا جديدة للتعبير عن أنفسهم والمشاركة في
المجتمعات الرقمية بطرق تتجاوز القيود التقليدية للزمن والمكان، مثالاً: المنصات مثل "تيك
توك" و"إنستغرام" ليست مجرد وسائل للترفيه، بل أصبحت فضاءات للتفاعل الاجتماعي
المكثف، حيث يتم تبادل الخبرات، الآراء، وحتى التعبير عن الهوية الشخصية من خلال
المحتوى البصري والموسيقي، ومنه تعكس التفاعلات الاجتماعية في البيئات الهجينة تحولاً
جذرياً في طبيعة العلاقات الإنسانية، حيث أصبح التواصل يعتمد على مجموعة متنوعة من
الوسائط والأساليب التي تتجاوز التفاعل التقليدي، وبينما تتيح هذه البيئات فرصاً غير
مسبوقة للتواصل والتعاون، فإنها تفرض أيضاً تحديات تستدعي مزيداً من البحث لفهم
تأثيراتها العميقة على الأفراد والمجتمعات، أحد هذه التحديات هو الفجوة بين الهوية الرقمية
والهوية الواقعية، حيث قد يتبنى الأفراد شخصيات مختلفة عبر الإنترنت مقارنة بحياتهم
اليومية، مما قد يؤدي إلى صراعات نفسية أو اجتماعية (Turkle, 2011, p. 159)، كما أن
طبيعة التفاعل الرقمي قد تخلق حالة من "التواصل غير المكتمل" (Partial
Communication)، حيث يُحرم الأفراد من الإشارات غير اللفظية التي تلعب دوراً مهماً في
الفهم والتواصل في التفاعلات الواجهية (Goffman, 1959, p. 92)، فأحياناً قد يؤدي غياب
تعبير الوجه ولغة الجسد في المحادثات النصية إلى سوء فهم بين الأفراد، مما يجعل
التواصل أقل دقة ووضوحاً.

6. إعادة تشكيل القيم والهويات الاجتماعية:

أدى انتشار المجتمع الهجين إلى ظهور هويات جديدة متأثرة بالثقافة الرقمية، حيث
بات الأفراد يطورون ذواتهم عبر الإنترنت من خلال بناء "هوية رقمية" قد تتباين مع هويتهم
الواقعية (Goffman, 1959, p. 22)، كما أن القيم الاجتماعية بدأت تتكيف مع هذا الواقع
الجديد، حيث أصبحت مفاهيم مثل الخصوصية، والانتماء، والتواصل تخضع لمحددات

جديدة تحددها المنصات الرقمية (Baym, 2015, p. 101)، فمع تحول المجتمع نحو الهجنة الرقمية، لم تعد الهوية الاجتماعية ثابتة أو محددة بالمكان والزمان، بل أصبحت عملية ديناميكية تتشكل عبر التفاعل مع الوسائط الرقمية، بحيث يصف غوفمان (Goffman, 1959, p. 22) هذا التحول بأنه "إدارة الانطباعات"، حيث يطور الأفراد هويات متعددة تتكيف مع السياقات المختلفة التي يتفاعلون فيها، ففي البيئات الرقمية، يمكن للفرد أن يكون شخصاً مختلفاً تماماً عما هو عليه في الواقع، مما يؤدي إلى فجوة بين "الهوية الواقعية" و"الهوية الرقمية"، هذه الأخيرة هي موضع تباين بين الواقعي والافتراضي، هنا يشير بايوم (Baym, 2015, p. 101) إلى أن الهوية الرقمية لا تعكس بالضرورة الهوية الحقيقية للفرد، بل يتم بناؤها وفقاً لقواعد ومحددات المنصات الرقمية، فمثلاً: في وسائل التواصل الاجتماعي قد يختار المستخدمون إبراز جوانب معينة من حياتهم مع إخفاء أخرى، مما يجعل الهوية الرقمية نسخة مُنتقاة ومُفلترة من الذات الواقعية، في هذا السياق، يمكن ملاحظة أن الأفراد يعيدون تشكيل هوياتهم وفقاً للجمهور المستهدف، فالشخص الذي يظهر بهوية مهنية على "لينكد إن" قد يكون لديه هوية أكثر عفوية على "إنستغرام"، بينما يمكن أن يظهر بشخصية ناقدة ومحللة على "تويتر"، هذا التنقل بين الهويات يعكس درجة عالية من "الهجنة الذاتية" التي تفرضها القيم الاجتماعية في هذه البيئات الرقمية المختلفة، ومع توسع التفاعل في العوالم الافتراضية، بدأت القيم الاجتماعية بالتكيف مع هذا الواقع الجديد، من بين القيم التي خضعت لإعادة التشكيل:

- الخصوصية: لم تعد الخصوصية تُفهم وفقاً لمعايير المجتمع التقليدي، حيث أصبح الأفراد يشاركون معلوماتهم وصورهم وأفكارهم بشكل أكثر علنية، في ظل معايير جديدة تُحددها سياسات المنصات الرقمية (boyd, 2014, p. 56). ومع ذلك، أدى هذا الانفتاح إلى ظهور مخاوف تتعلق بالمراقبة الرقمية، واستخدام البيانات الشخصية بطرق غير أخلاقية.

- الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية
- الانتماء: أصبح الانتماء الاجتماعي يتجاوز الحدود الجغرافية، حيث يمكن للفرد أن يشعر بالانتماء إلى مجتمعات رقمية تمتد عبر العالم، مثل المجموعات الافتراضية حول القضايا الاجتماعية، الثقافية، والسياسية (Wellman 2001, p. 220).
 - التواصل والتفاعل: أدى الاعتماد على الوسائط الرقمية إلى تغييرات في أساليب التفاعل الاجتماعي، حيث أصبحت الردود الفورية والتفاعل اللحظي من سمات التواصل الرقمي، مما غير من مفهوم الحضور الاجتماعي وأثر على كيفية تكوين العلاقات (Turkle, 2011, p. 89).
- بالإضافة إلى تأثير القيم الاجتماعية بالهيئة الاجتماعية، كذلك هناك تأثيرات ثقافية للتحولات الرقمية، الذي عبرت عنه هال (Hall, 1996, p. 223) بالهيئة الثقافية الناتجة عن التفاعل الرقمي، والتي لا تقتصر فقط على الأفراد، بل تمتد إلى المجتمعات بأكملها، حيث يتم دمج عناصر من ثقافات مختلفة داخل الفضاءات الرقمية، مما يخلق هويات هجينة تعكس التأثير المتبادل بين المحلي والعالمي، فعلى سبيل المثال: يمكن ملاحظة ذلك في ظاهرة "الميمز" (Memes) والثقافات الفرعية الرقمية التي تتخطى الحدود القومية وتنتشر عالميًا بسرعة، مما يؤدي إلى إعادة تشكيل التصورات الثقافية حول قضايا الهوية والانتماء، ما يطرح تحديات في إعادة تشكيل الهوية والقيم، فبالرغم من الفوائد التي تقدمها الهيئة الرقمية، إلا أنها تطرح تحديات معقدة، منها:
- التشظي الهوياتي: قد يؤدي التنقل المستمر بين الهويات الرقمية إلى شعور الأفراد بفقدان هويتهم الحقيقية، مما يخلق نوعًا من الاضطراب في إدراك الذات (Bauman, 2000, p. 45).
 - إعادة تعريف العلاقات الاجتماعية: مع تزايد التفاعل الافتراضي، قد تتأثر العلاقات التقليدية، حيث قد يشعر بعض الأفراد بأن التفاعل الرقمي لا يمكن أن يعوض عن الحميمية التي يوفرها التواصل المباشر (Carr, 2015, p. 120).

- الرقابة والتحكم: تفرض المنصات الرقمية قيوداً على التعبير والهوية، حيث يتم التحكم في المحتوى وفقاً لسياسات الشركات الكبرى، مما قد يؤدي إلى تشكيل "هويات رقمية مقيدة" تتوافق مع القواعد المفروضة على المستخدمين (Zuboff, 2019, p. 67).

لقد أدت الهجنة الرقمية إلى إعادة تشكيل القيم والهويات الاجتماعية بطرق غير مسبقة، حيث أصبح الأفراد يتنقلون بين هويات متعددة في فضاءات رقمية مختلفة، مما يخلق واقعاً اجتماعياً أكثر تعقيداً وديناميكياً. ومع استمرار تطور التقنيات الرقمية، ستظل هذه التحولات موضوعاً مهماً للبحث لفهم آثارها العميقة على الأفراد والمجتمعات، بالخصوص أن المجتمع الهجين يفتح آفاقاً وفرصاً جديدة في مجالات متعددة، مثل التعليم، والاقتصاد الرقمي، والتواصل العابر للحدود، غير أن هذا التحول لا يخلو من التحديات، حيث يواجه الأفراد مخاطر مثل العزلة الرقمية، والانفصال عن الواقع الاجتماعي التقليدي، بالإضافة إلى مشكلات تتعلق بالأمان والخصوصية (Zuboff, 2019, p. 47).

7. الفرص والتحديات في المجتمع الهجين:

أ/ الفرص:

- التعليم الرقمي وتوسيع آفاق المعرفة: ساهمت التحولات الرقمية في إعادة تشكيل قطاع التعليم، حيث أصبح التعلم متاحاً بشكل أكبر عبر المنصات الرقمية. يوفر التعليم عن بُعد فرصاً غير مسبقة للطلاب في جميع أنحاء العالم للوصول إلى المعرفة دون قيود جغرافية. كما أن البيانات الافتراضية توفر إمكانيات جديدة للتفاعل والمشاركة في النقاشات التعليمية بطرق مبتكرة (Selwyn, 2016, p. 88)، حيث تتيح المنصات التعليمية مثل "كورسيرا" و"إديكس" إمكانية التعلم من جامعات عالمية دون الحاجة إلى السفر، مما يعزز مبدأ التعلم المستمر مدى الحياة. لكن في الوقت ذاته، قد تؤدي هذه التحولات إلى إضعاف التفاعل الاجتماعي

الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية التقليدية بين الطلاب والمعلمين، وهو أحد التحديات التي يجب التعامل معها (Bayne et al., 2020, p. 134).

- الاقتصاد الرقمي والتحول في أنماط العمل: أدى انتشار الرقمنة إلى ظهور أنماط عمل جديدة، مثل "العمل عن بُعد" والاقتصاد التشاركي، مما أتاح فرصًا أوسع للعمل في بيئات مرنة ومتعددة الجنسيات (Schwab, 2016, p. 72)، حيث أصبح بإمكان الأفراد العمل كمستقلين على منصات مثل "أب وورك" (Upwork) و"فري لانسر" (Freelancer)، مما يمنحهم حرية أكبر في اختيار مهامهم وجدولة أوقات عملهم، لكن هذه التحولات جاءت أيضًا مع تحديات، مثل تآكل الأمان الوظيفي، وغياب الضمانات الاجتماعية للعاملين في الاقتصاد الرقمي، مما يطرح تساؤلات حول مستقبل علاقات العمل في هذا المجتمع الهجين (Standing, 2016, p. 91).

- التواصل العابر للحدود وتعزيز الاندماج الثقافي: بفضل التكنولوجيا الرقمية، أصبح التواصل بين الأفراد والمجتمعات أكثر سهولة من أي وقت مضى. فقد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في كسر الحواجز الجغرافية والثقافية، مما أدى إلى نشوء مجتمعات رقمية تشارك الاهتمامات والتوجهات ذاتها، بغض النظر عن الموقع الجغرافي (Wellman et al., 2001, p. 215)، إلا أن هذا التواصل العابر للحدود قد يؤدي أيضًا إلى "التجانس الثقافي"، حيث تهيمن ثقافات معينة على أخرى، مما يهدد التنوع الثقافي في بعض المجتمعات (Tomlinson, 1999, p. 54).

ب/ التحديات:

- العزلة الرقمية والانفصال عن الواقع الاجتماعي: رغم أن التكنولوجيا الرقمية عززت التواصل، إلا أنها في الوقت ذاته أدت إلى ظاهرة العزلة الرقمية، حيث يميل بعض الأفراد إلى الانغماس في العالم الافتراضي على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر (Turkle, 2011, p. 102)، في هذا الصدد توضح دراسات حديثة أن

الاستخدام المفرط للهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى تراجع مهارات التواصل الواقعية، مما يجعل الأفراد أقل قدرة على بناء علاقات حقيقية في العالم المادي (Carr, 2015, p. 67).

- **تحديات الأمان والخصوصية:** مع تزايد استخدام المنصات الرقمية، أصبح الأمان السيرانى مسألة حاسمة، حيث يواجه الأفراد تهديدات متعددة مثل سرقة البيانات، التنصت الرقوى، والتلاعب بالمعلومات (Zuboff, 2019, p. 47)، فالشركات الكبرى، مثل "فيسبوك" و"غوغل"، تتحكم في كميات هائلة من البيانات الشخصية للمستخدمين، مما يثير تساؤلات حول مدى قدرة الأفراد على التحكم في معلوماتهم الخاصة، كما أن انتشار "الخوارزميات الذكية" أدى إلى بناء "فقاعات المعلومات"، حيث يتلقى الأفراد محتوى يتماشى مع اهتماماتهم المسبقة، مما قد يعزز التحيزات الشخصية ويضعف التنوع في المعلومات (Pariser, 2011, p. 113).

- **إشكاليات الهوية والانتماء:** يؤدي المجتمع الهجين إلى تحديات تتعلق بإعادة تعريف الهوية والانتماء، حيث لم يعد الأفراد مرتبطين بشكل حصري بمجتمعهم المحلي، بل باتوا يتنقلون بين هويات متعددة على الإنترنت، يوضح باومان (Bauman, 2000, p. 52) أن هذا "التنقل الهوياتى" قد يؤدي إلى شعور بعدم الاستقرار النفسى، حيث يصبح الأفراد غير قادرين على تحديد انتماءاتهم بشكل واضح، فعلى سبيل المثال: قد يشعر بعض الشباب بالارتباط الثقافى بمجموعات افتراضية أكثر من ارتباطهم بمجتمعهم المحلي، مما قد يخلق نوعاً من "الاغتراب الاجتماعى" (Hall, 1996, p. 201).

يوفر المجتمع الهجين فرصاً هائلة في مجالات التعليم، العمل، والتواصل، لكنه يفرض أيضاً تحديات جوهرية تتعلق بالهوية، الخصوصية، والتفاعل الاجتماعى، إلا أن التعامل مع هذه التحديات يتطلب توازناً بين الاستفادة من المزايا الرقمية والحد من الآثار السلبية التي قد تنجم عن الانغماس المفرط في الفضاء الافتراضى، ومع استمرار تطور التكنولوجيا، سيظل

الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي: قراءة أنثروبولوجية في تداخل العوالم الرقمية والمادية
البحث في كيفية إدارة هذا المجتمع الهجين ضروريًا لفهم مستقبل العلاقات الاجتماعية
والاقتصادية والثقافية.

8. الخاتمة:

خلصت هذه المساهمة إلى أن الهيئة الاجتماعية بين الواقعي والافتراضي تمثل ظاهرة أنثروبولوجية معقدة، تعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والهويات في ظل التحول الرقمي، فبينما يتيح المجتمع الهجين فرصًا جديدة للتفاعل والاندماج، فإنه يطرح أيضًا تحديات جوهرية تتطلب تحليلًا دقيقًا من منظور أنثروبولوجي وثقاف، ودراسة هذا التداخل بين العوالم الرقمية والمادية يظل مجالًا خصبًا للبحث الأكاديمي، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة التي تعيد تعريف أنماط الحياة البشرية، حيث لم يعد التفاعل الاجتماعي مقتصرًا على الفضاء المادي، بل أصبح ممتدًا ومتداخلًا مع الفضاءات الرقمية، مما أدى إلى إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والهويات الفردية والجماعية، فمع تطور التقنيات الرقمية وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي، أصبح الأفراد يعيشون في فضاء مزدوج، يدمج بين التجربة الحسية المباشرة والتجربة الافتراضية غير الملموسة، مما خلق واقعًا اجتماعيًا هجينًا يحمل في طياته فرصًا وتحديات متعددة، كما أظهرت هذه المساهمة أن التكنولوجيا ليست مجرد أداة محايدة، بل هي قوة محركت تعيد صياغة أنماط الحياة والعلاقات الإنسانية، حيث أتاحت البيئة الرقمية إمكانيات واسعة لتعزيز التفاعل الاجتماعي وتجاوز الحدود الجغرافية، وخلق أشكال جديدة من الانتماء الثقافي والاجتماعي، إلا أن هذه التحولات لم تكن خالية من الإشكالات، إذ ظهرت تحديات مرتبطة بإعادة تعريف الهوية، الخصوصية، والاندماج الاجتماعي. فبينما عززت التكنولوجيا أشكالًا جديدة من الاتصال، إلا أنها ساهمت أيضًا في زيادة العزلة الرقمية، حيث بات بعض الأفراد يفضلون التفاعل عبر الوسائط الافتراضية على حساب التفاعل المباشر، مما أثر على طبيعة الروابط الاجتماعية التقليدية، وتطرقنا هذه المساهمة أيضًا إلى مسألة الهوية الرقمية باعتبارها أحد الأبعاد الأساسية للهيئة الاجتماعية، حيث لم تعد الهوية الفردية تقتصر على الوجود

الفيزيائي، بل أصبحت تتشكل من خلال التفاعلات الافتراضية. فقد أصبح الأفراد يعيدون بناء ذواتهم في العالم الرقمي، سواء عبر حساباتهم في وسائل التواصل الاجتماعي أو من خلال الشخصيات الافتراضية التي يتبنونها في الألعاب الرقمية والمنصات التفاعلية. هذه الظاهرة أدت إلى ظهور هويات هجينة تجمع بين عناصر من الواقع المادي والفضاء الافتراضي، مما يستدعي إعادة التفكير في مفهوم الذات والانتماء في العصر الرقمي، كما أنه وبالرغم من أن الهجنة الاجتماعية تفتح آفاقاً جديدة في مجالات التعليم، الاقتصاد، والثقافة، إلا أنها تفرض تحديات جوهرية تتطلب تحليلاً دقيقاً من منظور أنثروبولوجي وثقافي، أبرزها التغيرات في القيم الاجتماعية، فمع سيطرة الوسائط الرقمية على التفاعل الاجتماعي، أصبح مفهوم الخصوصية أكثر تعقيداً، حيث يتعين على الأفراد التكيف مع واقع جديد يتم فيه تداول المعلومات الشخصية بشكل غير مسبوق، وإشكالية التفاعل الاجتماعي، لما أدت إليه الهجنة الرقمية من تراجع في بعض المهارات الاجتماعية التقليدية، حيث بات التواصل الرقمي يحل محل الحوار المباشر، مما قد يؤثر على طبيعة العلاقات الإنسانية وقوة الروابط الاجتماعية، ضف كذلك التحيزات الرقمية وفقاعات المعلومات، فمع تطور الخوارزميات الذكية، أصبح الأفراد يتعرضون لمحتوى مصمم وفقاً لاهتماماتهم السابقة، مما قد يحد من تنوع المعلومات ويؤدي إلى تكوين "فقاعات رقمية" تعزز التحيزات الشخصية بدلاً من توسيع الأفق المعرفي، مع ذلك تظل دراسة التداخل بين العوالم الرقمية والمادية مجالاً خصباً للبحث الأكاديمي، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة التي تعيد تعريف أنماط الحياة البشرية، ومن القضايا التي تحتاج إلى مزيد من البحث:

1- تأثير الذكاء الاصطناعي على العلاقات الاجتماعية: كيف ستؤثر الأنظمة الذكية

على طبيعة التفاعل بين الأفراد؟

2- التأثير النفسي للهجنة الرقمية: كيف تؤثر هذه البيئة الهجينة على الصحة

النفسية للأفراد والشعور بالانتماء؟

3- إعادة تعريف الهوية في العصر الرقمي: كيف يمكن للأفراد التوفيق بين هويتهم

الواقعية والهوية التي يقدمونها عبر الإنترنت؟

ختامًا، إن العالم اليوم يعيش مرحلة جديدة من التحولات الاجتماعية والثقافية بفعل التكنولوجيا الرقمية، حيث أصبح الفضاء الافتراضي جزءًا لا يتجزأ من التجربة الإنسانية، فبينما تتيح هذه البيئة فرصًا كبيرة لتعزيز التواصل وتطوير الذات، فإنها تفرض أيضًا تحديات تتعلق بالهوية، التفاعل الاجتماعي، والقيم الثقافية، لذا فإن التعامل مع هذا الواقع الجديد يتطلب وعيًا نقديًا وإطارًا تحليليًا يمكن من خلاله فهم أبعاد الهيئة الاجتماعية وآثارها العميقة على مستقبل المجتمعات الإنسانية.

5. قائمة المراجع:

- Baym, N. K. (2015). Personal connections in the digital age (2nd ed.). Polity Press.
- Boellstorff, T. (2008). Coming of age in Second Life: An anthropologist explores the virtually human. Princeton University Press.
- boyd, d. (2014). It's complicated: The social lives of networked teens. Yale University Press.
- Canclini, N. G. (1995). Hybrid cultures: Strategies for entering and leaving modernity. University of Minnesota Press.
- Castells, M. (2009). Communication power. Oxford University Press.
- Canclini, N. G. (1995). Cultural hybridity and the reproduction of identities in the context of globalization (A. Al-Shami, Trans.). Dar Al-Fikr.
- Goffman, E. (1959). The presentation of self in everyday life. Anchor Books.
- Hall, S. (1996). Cultural identity and diaspora. In P. Mongia (Ed.), Contemporary postcolonial theory: A reader (pp. 110–121). Arnold.
- Lupton, D. (2014). Digital sociology. Routledge.
- Miller, D., & Slater, D. (2000). The Internet: An ethnographic approach. Berg.

- Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. Basic Books.
- Wellman, B., Quan-Haase, A., Boase, J., Chen, W., Hampton, K., Díaz, I., & Miyata, K. (2001). The networked nature of community: Online and offline. *American Behavioral Scientist*, 45(3), 213–238.
<https://doi.org/10.1177/00027640121957286>
- Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. PublicAffairs.